جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الانسانية
مجلة اوروك للعلوم الانسانية
موقع المجلة : www.muthuruk.com
BM-Publisher

الاشتغالات النقدية للمكان في رواية (شرق المتوسط) لعبد الرحمن منيف

نجوى محمد جمعة *
شيرين ريسان رفاس
جامعة البصرة / كلية التربية للعلوم الإنسانية

معلومات المقالة

تاريخ المقالة:
الاستلام: 2018/10/14
تاريخ التعديل : 2018/11/1
قبول النشر: 2018 /11/22
متوفر على النت:2018/3/26

الكلمات المفتاحية :
الاشتغالات النقدية
رواية شرق المتوسط
عبد الرحمن منيف

الملخص

تنطلق هذه الدراسة من رؤية تعتقد بأهمية المكان بوصفه عنصراً اساسياً في تشكيل البنية السردية ، ولأن المكان جاء متميزاً وله خصوصية عند الكاتب عبد الرحمن منيف وهذا واضح على نحوٍ جلي حينما اتخذ مسميات المكان عناويناً لأغلب رواياته ، وما رواية (شرق المتوسط) التي نحن بصدد دراستها الآن إلا واحدة من تلك الروايات التي حظيت بعنوان مكاني بأمتياز ، لهذا مُنيت باهتمام الدارسين للمكان ، الأمر الذي دفعنا إلى تناول بعض تلك الدراسات للالتزام بشروط البحث ، ممعنين النظر في الرؤى المطروحة فيها ومدى مطابقتها او ملائمتها لمحتوى النص المطروح مع مراعاة الترتيب الزمني لنشرها وعدد الدراسات المنتقاة للمعالجة في مطلبي هذا البحث، فتوقفت ورقة البحث عند مطلبين : عالج المطلب الاول اشتغالات المكان في بعض الكتب النقدية ، أما الثاني فعالجها في بعض الأطاريح والرسائل والبحوث الأكاديمية .

© جميع الحقوق محفوظة لدى جامعة المثنى 2019

المقدمة

لازال المكان يكتسب اهمية خاصة بوصفه موجود ملموس ، يتناغم مع ما حولهِ وما يحتويه ، كونه الوعاء الذي تصب الرواية ثقلها فيه[1] والمسرح الحامل لألوان العمل ، والمساحة التي تقع فيها الأحداث وتدب فوق خشبتها أقدام الشخصيات ، غير أن هذا المكان ليس نفسه المكان الطبيعي (الواقعي) بل هو مكان خيالي يخلقه الروائي ويعطي له أبعاداً تناسب عمله ، فقد يرسم عبرة ادبية الرواية إذا استطاع الأديب أن يوظفه لتجسيد الأفكار والرموز والحقائق المجردة ومن ثم تقريبها إلى الواقع ، لهذا كان للمكان الفني اهمية في تشييد شعرية الخطاب السردي للرواية كونه يخلق بعداً جمالياً ناتجاً من تفاعل عناصر المكان وتضادها في الرواية ، وعليه بات تحديد ماهية للمكان الروائي امر ليس بالهين ، فقد واجه الدارسون هذه المشكلة منذ الأزل ولا زال الأمر كما هو ، بل اصبح تحديد ماهية موحدة له امراً مستحيلاً ، ذلك لأن الأختيار لازال خاضعاً لأجتهاد كل دارس ، وعليه لم يتوصلوا إلى اعتماد تسمية موحدة للمكان تستند عليه الدراسات الأدبية.

وقد نجد تبايناً واختلافاً واضحاً في تحديد انماط دراسة المكان في الأبحاث الكثيرة التي تناولته ، إذ تنوعت وتعددت بين (مكان

*الناشر الرئيسي : E-mail : shereen1346@gmail.com

أليف ،وآخر طارد ، وثالث متخيل ... الخ) من الانماط المكانية الأخرى ، التي تنوعت بتنوع الدراسات النقدية العربية لها[3] ، كما نلحظ ان مصطلح المكان لم ينجُ هو الآخر من هذا التباين بل تعددت تعريفاته وتباينتْ على لسان النقاد ، فلقد ترجم غالب هلسا عن باشلار ما معناه إن ((المكان الذي ينجذب اليه الخيال لا يمكن ان يبقى مكاناً لا مبالياً ذا أبعاد هندسية وحسب ، فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط ، بل بكل ما في الخيال من تحيز))[6] كذلك نجد عبد الملك مرتاض يعرفه بأنه ((كل ما عنى حيزاً جغرافياً حقيقياً))[4] ، بينما تراه سيزا قاسم ((ليس المكان الطبيعي (بل هو) خيالي له مقوماته الخاصة وأبعاده المميزة))[5] ، وعلى الرغم من هذا الخلط او ذاك تبقى قيمة المكان تتجدد في الرواية بمقدار نجاح الأديب في جعل المكان انعكاساً لساكنيه ، فللمكان حضوره في العمل الروائي ، فما من مغامرة في الرواية أو خارجها إلا جعلت لها مكاناً تتجسد فيه حركاتها[7] ، هذا وإن تشخيص المكان في الرواية يجعل احداثها محتملة الوقوع ، اي إنهُ يجعل القصة المتخيلة ذات مظهر مماثل للحقيقة ، إذ يوهم القارئ إنَّ بمقدورهِ أرتياد تلك الأمكنة والاستقرار فيها ، وإنَّ الرسم الامثل يقضي بجعلها توحي للمتلقي بأشياء لا يمكن لمكوّن فني آخر تحقيقها ؛ لهذا نجد عدداً كبيراً من كتاب الرواية يصب اهتماهه بالمكان ليجعله مسمى لعناوين رواياته ، وهذا ما الفينا عليه حال جل عناوين روايات منيف مثل (شرق المتوسط) ، (حين تركنا الجسر) ، (أرض السواد) ، (مدن الملح)، (عالم بلا خرائط) ، (سباق المسافات الطويلة) ، وقد حظيت هذه كلها بأهتمام الاقلام النقدية فتناولها بالتحليل والدراسة ، غير ان دراستنا ركزت على المكان في (شرق المتوسط) وكيف أشتغلته الاقلام النقدية سواء ما جاء منها داخل كتب نقدية او في اطاريح ورسائل وبحوث علمية خاضعة لمنهج أكاديمي مسؤول .

1- اشتغالات المكان في الكتب النقدية

خضعت رواية (شرق المتوسط) إلى اقلام نقدية عالجتها بالتحليل حيناً وبالتفسير حيناً آخر ، ومن بين تلك الاقلام دراسة للدكتور صالح ولعة في كتابه الموسوم (عبد الرحمن منيف الرؤية والأداة) إذ عالج فيه عناصر البناء السردي ، وخص الفصل الثاني منه لدراسة (بناء الفضاء الروائي ودلالته) فقسمه إلى فضاءين (متغير = مفتوح ، ثابت = مغلق) إذ جاء الفضاء الثاني ثمرة لتحول الفضاء الأول ، وقد احتسب الباحث (شرق المتوسط) ضمن المكان (المغلق = الثابت) بما ينطوي عليه من احداث فرضتها طبيعة فضائه القسري المتمثل بـ (السجن) ، كما عرَّج ولعة في بداية حديثه على ذكر القمع الذي لحق ببطل الرواية (رجب اسماعيل) كموضوع اراد من خلاله إيصال متلقيه إلى غياهب المكان الذي احتوى تلك الشخصية وهو (السجن) ، إذ يقول : بأن ((ابرز التشوهات التي رافقت الحقبة النفطية، اتساعُ ظاهرة القمع وتطور اساليبه وامتداده إلى جميع مناحي الحياة))[8] ، ويبدو ان الباحث قصدَ اولاً تهَيئة متلقيه لأدراك فضاء السجن ومن ثم تقبل ابعاده ، ممهداً لذلك بمقدمة تبرز تجليات القمع من ((تغييب الأخر مادياً أو معنوياً من خلال الأغتيال أو تكميم فمه ، وايضاً من خلال حصاره مادياً ونفسياً ، بسجنهِ وقطع موارد رزقه))[9] ، فيدخل هنا متلقيه إلى عالم السجن بكل تفاصيله ، وبما فيه السبيل لقبوله برحابة، جاعلاً من فضاء السجن الأخطبوط الذي يطوق (شرق المتوسط) بأكملهِ ، ولقد صرح الباحث بذلك في قوله : ((ينشر فضاء السجن في رواية (شرق المتوسط) بشكل اخطبوطي ويستغرق جميع الامكنة))[10] مؤكداً ولعة إنَّ فضاء السجن هو المكان الأبرز حضوراً فيها ، ذلك لأن ((ما يميز منطقة شرق المتوسط هو السجون الكثيرة المنتشرة انتشار الوباء))[11] .

كما حاول ولعة ان يجسد مرارة السجن بكل ما فيهِ من قبح لأثبات ذلك ، بمشهدٍ تراجيدي استدعته ذاكرة الشخصية (رجب) وهي على ظهر السفينة (اشيلوس) حيث تلك الدهاليز اللعينة التي حُبس داخلها ((اتذكر أني رأيت الباب يفتح ثم

DOI:10.18018/URUK/019-12/110-118

رأيت بقعة الدم التي غطت مساحة واسعة من أرض القبور لا اعرف كيف نزلت الدرجات العشر ، حصل ذلك في لمح البصر ، ضربني حاتم على وجهي بظهر يده ، وفي اللحظة الثانية احسست رجلاً تضربني على ظهري))[12] ، ولم يكتفِ الباحث بذلك ، وإنما نزل بعدستهِ إلى تصوير عالم السجن السفلي المطمور (من الداخل) ، الذي وسمه بالضيق والرائحة الكريهة وبالظلام المطبق على جدرانهِ المتأكلة الرطبة وذلك من خلال رؤية ومعاناة (رجب اسماعيل) حيث ((كان القبو صغيراً لدرجة ان ثلاثة اشخاص لا يمكن ان يناموا فيه ، أما الجدران والسقف فقد كانت متقاربة لزجة ، النافذة الصغيرة التي تشبه ثقباً كانت تستقبل ضوءاً باهتاً))[13] ، وعلى الرغم مما جسده منيف في شخصية (رجب اسماعيل) من حالة آلم ومعاناة وقهر وكل ما هو سلبي واجههُ داخل عالم السجون ، نجد الباحث يصور تأقلم الشخصية ((مع السجن خاصة عندما يسيطر على خوفهِ وتسلح بالشجاعة والتحدي ... وهكذا بدأ رجب اسماعيل يتجاوز حدود الضعف ليكتسب الصلابة والقوة))[14]

وهنا ينتابنا شك حول قراءة الباحث للرواية كلها ، فأين هو من المشهد الذي يكشف به منيف عن ضعف الشخصية (رجب) وتهاويه لحظة توقيعه واعترافه على جماعتهِ ؟ واين ذلك ايضاً من جسدٍ اهلكهُ المرض واستفحله الخواء ، بسبب ما لاقى من انواع العذاب وأصناف طرق الذل والهوان ؟ هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فإن المكان يكتسب الفته من ساكنيه وهل ان من في السجن اهلٌ للألفة ، وان تحقق ذلك فالمكان بطبيعته طاردٌ للألفة ، هذا وان الباحث اغفل الاداة وهي الهدف من هذه الدراسة واكتفى بطرح الدلالة .

عرج باحث آخر على دراسة المكان في (شرق المتوسط) ذلك هو الدكتور عبد الحميد المحادين في كتابهِ الموسوم (التقنيات السردية في روايات عبد الرحمن منيف) ضمن الفصل الثالث منه ، وقد استوقفنا بداية على تعدد المصطلح لديه عند تصديه للمكان فجاء مرة (فضاء) واخرى (مكان) وهذا التعدد حفز الفضول لدينا لمعرفة الاسباب الكامنة وراء هذا الخلط ، فتوصلنا إلى القول بأن ذلك قد يعود إلى قلق المحادين من عدم الاحاطة بكن احدى التسميتين إذا ما ترك الاخرى ، وعليه أخترنا تقديمها مفهوم المكان لديه ، هو ((مساحة شاسعة يمكن تحديد اجزاء منها ، وبالتثبيت على الخط والمساحة يتمكن الراوي من ايجاد تخييل شديد الإيهام بالواقع الفعلي ، من حقيقة زمانية مكانية))[15] ، بينما يرى ان ((توقع الفضاء داخل الرواية ... تقنية ذات مستويات دالة في بناء الرواية))[16] ، ويبدو ان المحادين هنا حاول ان يفصل بين المصطلحين ؛ لكي يمد خطاه في ادراج انعكاس الفضاء على المكان وتأثيرهما المباشر بالشخصية الرئيسة (رجب اسماعيل) الذي ادخلهُ منيف في فضاءٍ من مدارات التخيل وفنون القصص ، وقد لحظ المحادين اعتياد منيف على ان ((يمنح فضاءاتهِ اسماء قريبة من الواقع ويترك الألتباس قائماً والتخييل في اكثر أبعاد احتمالاته))[17] فعاب عليه ابهامية التسمية في العنوان إذ يقول : ((إن اسم الرواية ... (شرق المتوسط) تشي بالتحديد للوهلة الأولى ، ثم حين الدخول في نسيج الرواية تبدو التسمية مهمة إلى حد كبير (شرق المتوسط) فبلدان كثيرة تنطوي تحت هذا المسمى))[18] غير اننا نرى إن من سمات العبقرية التي يتمتع بها منيف ميل نصوصه إلى تجريد المكان ، ما جعل فضاء رواياته غير محدود بتضاريس مغلقة ، ليحكم المحادين على (شرق المتوسط) بأنها ((رواية تميل إلى كثير من التسجيلية في مواقع كثيرة منها ، وهي تتناول موضوع الحرية المصادرة في شرق المتوسط))[19] ، إذ يجعل من الحرية معادلاً موضوعياً لـ (السجن) بوصفهِ رمزاً من رموز القمع ، كما نجده يحدد المكان الاول لوقوع الاحداث في زمن الرواية والذي ((يبدأ السرد (فيه) من فضاء زماني مكاني محدد جغرافياً خارج الوطن ، وتاريخياً بعد الهزيمة ، الاعتراف التوقيع ، فالفضاء العام للرواية يبدأ من خارج فضاء الحدث الزماني والمكاني))[20] وهنا نجد تناقضاً واضحاً في كلام الباحث فهو سابقاً عاب على منيف تعميمه وتعتيمه في توضيح الحدود الجغرافية للمكان ، غير اننا نجده هنا يضعه في إطار محدد يقاس بالبعد او القرب من موطن

DOI:10.18018/URUK/019-12/110-118

الشخصية الأصلي ، كما ان عدم تحديد منيف للزمان أجده مناسباً لحال الشخصية الرئيسة (رجب) وكذلك لحال بقية الشخصيات التي تعيش معه داخل جدران السجن ؛ ذلك لأن عوالم السجن لا يحسن معها الإحساس بالوقت الطبيعي الكوني ، ذلك لان زمن السجين غيره الزمن الطبيعي ، فهو يفوقه كثيراً ، وما تقمص منيف لدواعي الزمن داخل السجن إلا ميزة ابداعية تضاف له تغافلها الكثير .

خلق المحادين في (شرق المتوسط) فضائين (محدد ، وغير محدد) وذلك ((من منظور توسيع الدلالة المرتكزة في السجن))[21] والذي صيره شخصية روائية له وجوده الحي المتغلغل في النفوس ، وأخيراً يصرح المحادين إن ما حدث في فضاء (شرق المتوسط) إنما هو ((حلقة دائرية ارتدادية في فضاء مترابط يتناقض ويتشاكل وفي كل المواقع كان السجن داخل النفس))[22] ، وان ما يحسب للمحادين هنا تمكنه من تمثيل فضاء الرواية كله داخل إطار السجن ؛ ذلك لان الدنيا بدت للشخصية (رجب اسماعيل) ماهي إلا سجن كبير وهذا ما أكده المحادين حينما جعل فضاء السجن المهيمن الذي قد يتسع ليشمل المكان كله (الوطن)[23] .

تناول ايضاً الدكتور علي مهدي زيتون بكتابهِ (في مدار النقد الأدبي – الثقافة – المكان – القص) جدلية المكان وحقوق الإنسان في رواية (شرق المتوسط) إذ جالت خطواته الأولى لترسم عتبة العنوان لهذه الرواية مستدعياً المتقابل له من (غرب المتوسط) في محاولة منه لخلق ثنائية متضادة قائمة على جدلية الحضور والغياب ، جاعلاً من هذه الضربة مثاراً للتميز والعلو على الأخر الادنى ذلك لان ((الوقوف عند أي ثنائية ضدية يجرنا لا محالة الى تراتبية تصنع احد الضدين في موقع التفوق والسيطرة))[24] معولاً الباحث كثيراً على هذه الثنائية في تفسيرهِ للأزمة الحضارية المتمثلة ب ((حرمان إنسان بلادنا من أبسط حقوق الإنسان ، وهو الذي يشكل جوهر ازمتنا))[25] ، ثم قارن مكان السجن في (شرق المتوسط) بكل مكان أرتادته الشخصية :لكون السجن باقٍ في داخلهِ حتى وإن كان هو خارج عن اسوارهِ ، إذ بات يرافقه في حلهِ وترحالهِ حتى حمّل ((المكان في هذه الرواية ... اعباء ستراتيجيتها بأمتياز))[26] ابتداءاً من عنوانها الذي ادخلها العالمية رغم تحديدها الضيق للمكان في بلاد (شرق المتوسط) ، وأنتهاءاً بسلب إرادة الجسد وتهاويه ثم موته كنهاية رسمية مثلت ميوعة حقوق الإنسان في (شرق المتوسط) مقارنة بـ (غرب المتوسط) التي اعطت للإنسان حقوقه في الحرية والعيش بكرامة ، ولأجل ان يثبت الباحث تحقق وجود الأنا والأخر الغربي في هذه الرواية ، الذي حاول اظهاره منذ بداية وقوفهِ عند العنوان ، حشد كل طاقته لذلك واغفل الدخول في ثنايا النص الثاوية فيه ثنائيات اخرى صالحة للدراسة والتحليل سكت عنها زيتون كما نلاحظ ابتعاده عن نهج تراتبية مبوبة وممنهجة في دراسته للمكان واكتفى ببث نقده الذي بدأ أنطباعياً في ثنايا هذا الكتاب مع التركيز على ثنائية الأنا الأخر = الغياب الحضور لأثبات التفاوت وبيان الإزمة الحاصلة .

2- اشتغالات المكان في الاطاريح والرسائل والبحوث المحكمة

ومثلما حظيت روايات عبد الرحمن منيف باهتمام النقاد فتناولوها في كتبٍ اغنت المكتبات الادبية برصيد فكري وثقافي وادبي حظي باهتمام متلقيه ، نجد الأمر يستدرج الباحثين من أساتذة وطلبة دراسات لتناول هذا العنصر الحيوي المهم في تشكيل البنية السردية لرواية (شرق المتوسط) ، وعليه أرتأينا ان نتناول بعضهم في مطلب ثاني مع مراعات المنهجية في عدد الدراسات المنتخبة في هذا القسم من البحث ومن بينها ، دراسة للطالب محمد انور اسماعيل النعيمي في اطروحتهِ الموسومة (التغيرات الاجتماعية في ادب عبد الرحمن منيف الروائي) عالج فيها المكان في (شرق المتوسط) ضمن اماكن الإقامة إجبارية ولاسيما داخل فناء (السجن) الذي زاحم في هذه الرواية غيره من سجون ، ذكرت في روايات منيف الاخرى ، لهذا توقف الدراسة عند اعتاب هذا المكان ، وقد عول الباحث كثيراً على تربص الصورة المعمارية والابعاد الهندسية له ، فرصد ابعاد

DOI:10.18018/URUK/019-12/110-118

السجن من حيث المساحة (صغير / كبير) وترك تحديد مستوى التغيير الذي طرحت الدراسة من اجله كهدف يحاول تحقيقه الباحث ضمن هذه الدراسة ، فحاول الباحث دراسة التغيير من خلال تأثيراته على الشخصيات ولاسيما الرئيسة (رجب) ؛ ذلك لأنه يرى السجن غير خاضع للتغيير بل يعتبره مكاناً ثابتاً وإنما الذي يخضع لهذا التغيير الساكنين في المكان (السجن) ، لهذا يجد المكان في شرق المتوسط يمتلك ((وعياً فكرياً ونفسياً ، واجتماعياً ، ووجدانياً ، يتفاعل مع الذات والجماعة ، ويبرز بأشكال ومستويات متعددة حسب الرواية المستقطبة لتمثلهِ))[27] فيسعى الباحث إلى ابراز ذلك التغيير من خلال حالات التعذيب التي يتعرض لها السجين (رجب) ولاسيما في السجون السياسية والانفرادية منها ، وقد جسد الباحث ذلك من خلال الصورة التي نقلها عبر شخصية (رجب) الينا والذي وصف السجن بانه ((قبو صغير لدرجة إن ثلاثة اشخاص لا يمكن ان يناموا فيه ، أما الجدران والسقف ، فقد كانت متقاربة لزجة والنافذة الصغيرة التي تشبه شقاً ، كانت تستقبل ضوءاً باهتاً ينزلق لها من أرض الحوش))[28] فيرى ان التغيير الذي حصل داخل المكان اصاب الشخصية وليس المكان نفسه ، إذ باتت متأقلمة مع هذا المكان وتشعر معه بالألفة على الرغم من أنه مكان غير أليف بطبيعتهِ ، ويدعم الباحث تصوره هذا بما أورده من قول للشخصية السجينة (رجب) : ((آه ما اشد روعة ادراج القبو ! استغرب الآن كيف ترددت في أن انام عليها ، هل كنت أحمق لهذه الدرجة ؟ وهل يريد الانسان مكاناً أفضل من تلك الادراج لكي ينام))[29] ، غير ان ما يلحظ على الباحث انه صبَّ جل همه على تصوير هندسة المكان ولم يتعد الى غيرها من ابعاد مكانية أثرت بشكل مباشر على تغيير احاسيس الشخصية تجاه المكان ورسمت هالة من السكينة او النفور تجاهه ، فنجد مثلاً (السجن) كمكان قبل اعتراف (رجب) وتوقيعه على التعهد الذي يدين جماعته ، كان عاملاً في تغييره بعد ذلك إذ اصبح اقل تعذيب من الناحية الجسدية وان اصبح تعذيب الذات اقوى حينها ، وهذا ما اغفله الباحث وكان عليه رصده ليدرك الهدف الذي تبناه في دراسته هذه في رصد التغيير ، فيتوصل الباحث في نهاية دراستهِ الى نتيجة مفادها ((ان التغيير المكاني في رواية منيف كانت طارئة وغير متوقعة ولا تخضع للتحولات الطبيعية ، وأنه تغير عشوائي غير منتظم يتعرض فيه المكان إلى التشويه والتدمير))[30] وفي نهاية هذه الدراسة لا يسعني إلا القول بان الباحث حاول تحليل الرواية تحليلاً معمارياً كان اقرب الى الدراسة العلمية منها للدراسة الادبية ولاسيما حينما اتسمت هذه الدراسة بجوانب مادية حرفة وتطبيقات عملية خاصة تنحو بنا إلى اعمال العقل أكثر من الروح والعاطفة والخيال ، التي تستند عليها الدراسات الادبية ، غير ان هذا الامر يكشف لنا عن الاقتراب المتحقق بين العوالم الادبية والعلمية ، إذ تضيف الثراء الفكري الإنساني بشكل عام وتمنح الاعمال الأدبية بعداً اخر كان مختفياً قبل هذا الحين ، ثم انه هنا خرج بنا عما اعتدنا عليه من آليات لدراسة المكان ، وربما ستسهم هذه الدراسة فيما بعد في تغيير وجهة نظر المتلقي في تحليل الرواية عند قراءتها ، لهذا يحسب للباحث هذا السبق والريادة في التناول بهذه الطريقة وان سبقته دراسة لذلك وهي دراسة لـ (علي عبد الرؤوف) الموسومة بـ (المدن العربية في الادب ، نحو تحليل معماري للرواية) .

كما قدم الطالب محمد رشدي عبد الجبار في رسالتهِ الموسومة (النص الموازي في اعمال عبد الرحمن منيف الادبية (دراسة نقدية تحليلية) قراءة في فضاء العنوان لرواية (شرق المتوسط) ولم يتجاوز إلى غيره ، لاعتبار ان عتبة العنوان هي الخيط الذي يميط اللثام عن مجريات المتن الحكائي ويفتح مغاليق النص ، لهذا وجدنا يتعرض اولاً لمدلول العنوان عند عدد من النقاد بعدها يقدم مفهومه له بالاستفادة من رؤى النقاد السابقين له في هذا المجال ، فيرى بان المقصود (بالمتوسط) هو البحر الأبيض المتوسط[31] ثم يختتم دراسته السريعة هذه برؤياه التي تقول : ((أرى منيف لا يقصد تحديد بلد بعينه ، فالمسألة عامة في الدول العربية، ولا نرى بلداً عربياً عكس الصورة التي ذكرها منيف في روايتهِ ، مما يجعل المشرق العربي كله مشترك في هذه

DOI:10.18018/URUK/019-12/110-118

الجريمة والمؤامرة ، والباخرة التي انطلقت برجب اقلعت من ميناء بيروت ، ما يعني ان (رجب) كان في سوريا او العراق والجزيرة أو الأردن[32] وهذا التحليل غير المنطقي والذي قد يجافي الحقيقة في تحديد البلد الذي عناه منيف الذي لم يذكره منيف نفسه وتركه عائم كي يترك للمتلقي رسم صورة له ووضع تسمية ترتضيه دون ان يقيده بتحديد مغلق ذو ابعاد مكانية مجردة ، غير ان ما يحسب للباحث محاولته فك شفرة العنوان.

قدم الباحث أرشد يوسف عباس ورقة بحث عنوانها (المكان في رواية شرق المتوسط لـ (عبد الرحمن منيف)) حدد فيها العلاقة القائمة بين المكان وعناصر البناء السردي الاخرى كـ (الزمن ، والشخصية ، والحدث) ووضح مدى امتزاجه معهم الى الحد الذي لا يمكن معه الفصل بينهم ، كما أختط لدراسة المكان هذه ثنائية ضدية قائمة على اساس ثنائية (الأقامة الاجبارية والإقامة الأختيارية) فحدد اماكن تخصهما واستثنى اخرى ، وقد وضع ثلاث مستويات لعلاقة الإنسان بالمكان وابتعد عن توضيح علاقتهِ بالشخصية واكتفى بتحديد شخصية الكاتب نفسه ، الذي وجده على علاقة سلبية بالمكان ، فأخذ على منيف عدم معايشته لتلك الأمكنة بدقة ، ذلك لأن الأخير ((يعتقد ان تحديد الأماكن ... لا يعني المكان بالذات))[33] ، ولكن هذا رأينا امرٌ طبيعي لا يؤاخذ عليه الكاتب ذلك لأننا في الرواية نعيش في عالم افتراضي يصنعه الخيال من الواقع لكنه ليس الواقع عينه ، وهذه بالتحديد هي متعة عوالم السرد الروائي تحديداً) ، ولأن عاب الباحث على الكاتب عدم تحديده للمكان وترميزه له، فهذا يرجع لغاية الكاتب في ابعاد الشبه عن المكان المقصود الذي يؤاخذ عليه من جهة، ولتحليله برؤية الكاتب الروائي الذي يمتلك ادوات الأدب الفني وليس المؤرخ الذي يسجل الاحداث بحذافيرها وبزمن وقوعها ، راسماً منيف بذلك الواقع وحسب ابعاده الخيالية وإن كانت غير بعيدة عن هموم العصر الذي ينتمي اليه .

ثم يعرج الباحث بعد ذلك على دراسة التركيب النمطي لأماكن شرق المتوسط فوضعها ضمن ((مبدأ التقابل بين الأنماط المكانية وفق دواعي بقاء بعض الامكنة بلا اسماء عبر تصور اماكن واقعية ، لكي يخلق امكنة متخيلة تؤدي دور الإيهام بالواقع))[34] أي انه يعطى فرصة للمتلقي لأن يجول بخاطره مستدعياً مكاناً يحمل اوجه تشابه مع المكان المطروح في الرواية ، وهذا ما فعله منيف مع متلقيه ، إذ اعطاهم الحرية في اختيار المكان الذي يلائم مقاصدهم ويوافق رؤاهم ، وحينما حدد اماكن الاقامة الأختيارية في الرواية ومنها البيت[35] لم يستطع ان يخضعه لمبدأ الثنائية الذي اختطه كمنهج عالج من خلالهِ نص الرواية ، بل تركه مهمشاً غير واضح الملامح في تصويره للضديه المتقابلة ، ولو استعان الباحث بحديقة المنزل التي هجرت لما فيها من رمزية تحمل ابعاد الضدين ولاسيما مع شجرتها التي قلعت وجدارها الذي تهاوى وسقط كتهاوي منيف بعد وفاة والدته لكان دليله انجح في تأكيد دلالة الضدية هذا وإن الجفاء القسري الحاصل بين الشخصية والحرية جعل الامكنة كلها غير أليفة وموحشة وهذا ما اغفل الباحث ذكره حين تعامل مع الاضداد ، ونجده لم يستقر على مصطلح ثابت للمكان على طول البحث الذي لم يتجاوز عدد صفحاته اصابع الكف الواحدة ، فمرة يطلق عليه (مكان) واخرى (فضاء) وثالثة (حيز) ولا ندري لما هذا الإضطراب في اختيار المصطلح ، وقد مثل (السجن) لديه كمكان تابع للأقامة الاجبارية الابرز لتحقيق دلالة الانغلاق ، إلا ان الباحث لم يستطع كشف دلالته إلا من خلال مكوناته المادية إذ يرى بأن ((ابرز رموز السجن باعتباره مكان للأقامة الجبرية شديد الانغلاق ، إذ تغلق الأبواب والمنافذ عليه))[36] ، واخال بأن باب المنزل تغلق هي الاخرى ومنافذها كذلك وهو محسوب على اماكن الاقامة الاختيارية ، وهنا اهمل الباحث الطريقة الصائبة في تمثيل دلالة الانغلاق للسجن من خلال المكون المعنوي الذي كان الانسب لاثبات حقيقة الانغلاق فمثلاً لو طرق باب الحرية المفقودة داخله ومعاناة الشخصية لفقدها كان اكثر مساساً بدلالة الانغلاق أو الجبرية ، كما اغفل

DOI:10.18018/URUK/019-12/110-118

الباحث ايضاً لمكنة اخرى لم تقل اهمية عن السجن ومنها السفينة (اشيلوس) التي كانت الشاهد الاكبر على خنق الحريات في بلاد شرق المتوسط والأمل الوحيد بالنجاة والوصول نحو نشدان ذلك الامر على الطرف الاخر حيث الحرية المنشودة ، غير ان الباحث اختار بدلاً عنها اماكن ثانوية لم يكن لها الواقع او التأثير الذي يمكن ملاحظته على مجرى احداث الرواية او شخوصها إذ لو لم تذكر في الرواية فإنها لا تصنع خللاً فيها ومنها (السينما ، والشارع ، والمدينة ، والحديقة العامة وغيرها) ، واجد ان الباحث بذكرهِ لهذه الامكنة قد جر البحث إلى الهاوية بكثرة الامكنة التي لم تصنع دلالة وإنما خلقت تعدد في الانماط دون وجود رؤية نقدية تجر الدراسة نحو بر الأمان .

نتائج البحث :

1- يبدو ان كل من تناول الفضاء عند منيف لم يتعد فضاء السجن ، واغفلوا غيره من الأمكنة التي حوتها الرواية والتي لا تقل ضراوة من نار السجن ، كقبر امهِ المهدم ، والشجرة التي أقتلعت والجدار الذي سقط وتهاوى كتهاوي جسد رجب .

2- تكاد تتفق جميع الدراسات التي تناولت (شرق المتوسط) ان السجن لم يحمل رجب داخل اسواره وانما رجب من حمل السجن معه حتى وهو بعيداً عن اسوارهِ .

3- تغافل جل الدارسين عن تصوير السفينة (اشيلوس) معادلاً موضوعياً للأخر المتحرر فهي لم تكن وسيلة لتحقيق غاية بل كانت الغاية الأولى التي حملت داخلها عالم بأسره من اجناس مختلفة وعلاقات شتى غير ان رجب داخلها جسد اغتراب السجين التابع في عوالم سجنه الكوني .

4- ركز الدارسين على الثنائية التقابلية بين (اماكن الأقامة الأجبارية واماكن الأقامة الأختيارية) ولم يتعدوها الى غيرها ، لأنهم وجدوها الأشمل لكل الامكنة التي عالجها منيف داخل هذه الرواية .

هوامش البحث :

1- ينظر: وظائف وحدات القص وخصائصها ، جاسم عاصي ، مجلة الموقف الثقافي ، العدد 33 ، السنة السادسة ، 2001م .

2- ينظر: مدخل إلى نظرية القصة ، سمير المرزوقي وجميل شاكر ، ص57 – 59 ؛ وينظر: الرواية والمكان (دراسة في المكان الروائي) ، ياسين النصير ، ص51 ؛ وينظر: البناء الفني للرواية العربية في العراق ، شجاع مسلم العاني ، ص260 .

3- تحليل الخطاب السردي ، معالجة تفكيكية سيميائية لرواية زقاق المدق ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط1 ، 1989 ، ص245 .

4- بناء الرواية (دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ) : سيزا قاسم ، مكتبة الاسرة ، ط1 ، 2004 ، ص74 .

5- جماليات المكان ، غاستون باشلار ، ترجمة غالب هلسا ، دار الكتاب الحديث ، ط1 ، 2000م ، ص31 .

6- ينظر: العجائبية في الأدب من منظور شعرية السرد ، حسين علام ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، ط1 ، 2010 ، ص155 .

7- عبد الرحمن منيف الرؤية والاداة ، د. صالح ولعة ، عالم الكتب الحديث ، أربد – الأردن ، ط1 ، 2009م ، ص75.

8- المصدر نفسه ، 75 .

9- المصدر نفسه ، ص75 .

10- المصدر نفسه ، ص76 .

11- المصدر السابق ، ص76 .

12- المصدر نفسه ، ص76 .

13- المصدر نفسه ، ص77 .

14- التقنيات السردية في روايات عبد الرحمن منيف ، عبد الحميد المحادين ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط1 ، 1999م ، ص87 .

15- المصدر نفسه ، ص87 .

16- المصدر نفسه ، ص91 .

17- المصدر نفسه ، ص92 .

18- المصدر نفسه ، ص92 .

19- المصدر نفسه ، ص92 .

20- المصدر نفسه ، ص93 .

21- المصدر نفسه ، ص102 .

22- المصدر نفسه ، ص94 .

23- في مدار النقد الادبي ، د. علي مهدي زيتون ، دار الفارابي ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 2011 ، ص89 .

24- المصدر نفسه ، ص89 .

25- المصدر نفسه ، ص90 .

26- التغيير الاجتماعي في ادب عبد الرحمن منيف الروائي ، اطروحة للطالب محمد انور اسماعيل ، كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية ، جامعة بغداد ، 2014م ، ص380.

DOI:10.18018/URUK/019-12/110-118

27- المصدر نفسه ، ص380 – 381 .
28- المصدر نفسه ، ص381 .
29- المصدر نفسه ، ص389 .
30- النص الموازي في اعمال عبد الرحمن منيف الادبية (دراسة نقدية تحليلية) ، رسالة ماجستير للطالب محمد رشدي عبد الجبار ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس – فلسطين ، 2010م ، ص73 .
31- المكان في رواية شرق المتوسط ، أرشد يوسف عباس ، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية ، المجلد السابع ، العدد 2 ، 2012 ، ص3 .
32- المصدر السابق ، ص4 .
33- المصدر نفسه ، ص6 .
34- المصدر نفسه ، ص8 .

مصادر البحث :

1- أرشد يوسف عباس ، المكان في رواية شرق المتوسط ، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية ، المجلد السابع ، العدد 2 ، 2012 .

2- جاسم عاصي ، وظائف وحدات القص وخصائصها ، مجلة الموقف الثقافي ، العدد 33 ، السنة السادسة ، 2001م .

3- حسين علام ، العجائبية في الأدب من منظور شعرية السرد ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، ط1 ، 2010.

4- سمير المرزوقي وجميل شاكر ، مدخل إلى نظرية القصة (تحليلاً وتطبيقاً) ، دار الشؤون الثقافية العامة ، آفاق عربية ، ط1 ، بغداد – العراق ، 1969 .

5- سيزا قاسم ، بناء الرواية (دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ) ، مكتبة الاسرة ، ط1 ، 2004 .

6- شجاع مسلم العاني ، البناء الفني للرواية العربية في العراق ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط1 ، 1994م .

7- صالح ولعة ، عبد الرحمن منيف الرؤية والاداة ، عالم الكتب الحديث ، أربد – الأردن ، ط1 ، 2009م .

8- عبد الحميد المحادين ، التقنيات السردية في روايات عبد الرحمن منيف ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط1 ، 1999م.

9- عبد الملك مرتاض ، تحليل الخطاب السردي ، معالجة تفكيكية سيميائية لرواية زقاق المدق ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط1 ، 1989 .

10- علي مهدي زيتون ، في مدار النقد الادبي ، دار الفارابي ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 2011 .

11- غاستون باشلار ، جماليات المكان ، ترجمة غالب هلسا ، دار الكتاب الحديث ، ط1 ، 2000م .

12- محمد انور اسماعيل ، التغيير الاجتماعي في ادب عبد الرحمن منيف الروائي ، اطروحة دكتوراه ، كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية ، جامعة بغداد ، 2014م .

13- محمد رشدي عبد الجبار ، النص الموازي في اعمال عبد الرحمن منيف الادبية (دراسة نقدية تحليلية) ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس – فلسطين ، 2010م .

14- ياسين النصير ، الرواية والمكان (دراسة في المكان الروائي) ، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع ، ط1 ، 2010م .

DOI:10.18018/URUK/019-12/110-118

Abstract

The study started from avision that believes in the importance of the place as an essential element in the for in shaping . The narrative structure and special private writer Abdul Rahman Manif, who gave double the value of the place when he made headlines of novels dealing with spatial hams until he became known as the Darkness hence the researcher sought to stud the studies . which focused on the element of place in the horse of Munif in particular the novel of the honor of the Mediterranean which the study stopped looked at the visions and suggested its relevance to the text content . The applicant also presented . The objective of these studies and issued monetary iudaments after touching the spects of power The methodology in the number of studies selected for treatment in this search and the land in which the paper stopped working in the case of two requirements, the first requirement is to place the place in the cash books dealing with the work of the place in the history, letters and alobal research the researcher took in to account.